شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

رسالة في تفسير وما محمد إلا رسول

المؤلف

أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ابن كمال باشا)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة برنستون.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن على محمد سيد الانام عليه وعلى آله الصلوة
والسلام قال الله تع في توبيخ المومنين وما محمد الا رسول الآية
مبتدأ وخبر والاعمل لها بالاتفاق لانتقاض نفيه بالآ قوله تع قد خلت
من قبله الرسل صفة لرسول مبنية عن كونه منتظر الخلو فان خلو
سائر الرسل من شواهد خلوه عليه السلام لامحالة كانه قيل قد خلت
من قبله امثاله فيخلو كما خلوا وليس بقاء الرسل شرطا في بقاء
شرايعهم بل هم يموتون وتبقى شرايعهم بتمسك بها اتباعهم والفاء
قلبتي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه السلام
رسول لاكسائر الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب
التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس رسولا لاكسائر الرسول
بل رسول كسائر الرسل فيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك
بدينهم وقيل هو قرافراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام
نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون لرسول الله عليه السلام
وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور بالرسالة
لايتجاوز الى البعد عن الهلاك فلابد من جعل قوله تع قد خلت اه
كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وايا ما كان
فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر لان الظاهر ان يكون هذا القصر
حقيقيا ولايجري في الحقيقي القلب والافراد لان القصر الحقيقي تخصيص شئ
بشئ بحسب الحقيقة ونفس الامر بان لايتجاوز الى غيره اصلا فغي هذا المقام

المقام ان محمدا عليه السلام مقصور بالرسالة لا يتجاوزها اصلا والقصر
الموصوف على الصفة من غير الحقيقي تخصيص امر بصفة دون صفة اخرى
او تخصيص امر بصفة مكان صفة اخرى فمثل هذا المقام ليس كذلك
لان كسائر الرسل والبعد عن الهلاك ليسا صفتين لمحمد عليه السلام
حقيقة بل هما امران اعتباريان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وهذه الهمزة هي همزة الاستفهام
معناه الانكار والفا للعطف واصلها التقديم اذ التقدير فأان مات
لكنها تقتضي صدارة الكلام فيقدمونها على حرف العطف قال
الخطيب كمال الدين الاوجه ان يقدر المحذوف بعد الهمزة وقبل الفا
تكون الفا عاطفة عليه ولوصرح به لقيل اتؤمنون به مدة حيوته فان مات
ارتددتم فتخالفون سنن اتباع الانبيا قبلكم في بناتهم على شريعة
انبيائهم بعد وفاتهم وحرف الاستفهام في الحقيقة داخل على الجزا والمعنى
ان انقلبتم على اعقابكم ان مات محمد او قتل لا يحال افان مات او قتل
شك وهو على الله تع محال انما نقول المراد انه سوا وقع هذا او ذاك
فلا تاثير في ضعف الدين ووجوب الارتداد وقيل الفا للسببية
والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته
مع كونه سببا في الحقيقة لبناتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان
مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المرددين فيه لما ذكر
من استعظامهم اياه فان كلمة ان في كلام الله تع لا تجري على ظاهرها
من ورود علم تع بالوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع قال ابن عباس
رض خرج رسول الله عليه السلام حتى نزل بالشعب بين احد وجبل آخر

فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير رئيسا على الرماة وكانوا خمسين رجلا
وقال رسول الله عليه السلام قوموا باصل الجبل حتى لا يأتينا العدو من خلفنا
فان كانت الغلبة لنا او علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم رسولا
فجاءت القريش بثلاثة الاف وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم
عكرمة بن ابى جهل ومعهم النساء يضربن الدفوف ويقلن الاشعار
فحمل ابو دجانة فى نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا
وقاتل على ابن ابى طالب رض قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا
سعد ابن ابى وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة
اليهم ورأوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهى اميرهم
عبد الله بن جبير فلم يبق عنده الا ثمانية نفر فلما رأهم خالد بن وليد
قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم فى اثنين وخمسين فارسا من المشركين
من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين
فنزقوهم وهزموهم وقتلوا منهم سبعين من الانصار وخمسة من المهاجرين
ورمى عبد الله بن قميئة الحارثى رسول الله عليه السلام بحجر فكسر رباعيته
وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رض فكان صاحب الراية
حتى قتله ابن قميئة وهو يزعم انه قتل النبى عليه السلام فقال قتلت
محمدا عليه السلام وصرخ صارخ قبل انه ابليس عليه اللعنة الا ان محمدا قد قتل
فانكفا الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الى عباد الله قال كعب
بن مالك كنت اول من عرف رسول الله عليه السلام من المسلمين فناديت
يا على صوتى يا معشر المسلمين هذا رسول الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه
وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون فلامهم على هربهم فقالوا

فقالوا يا رسول الله فدیناک بابائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلک فرعبت
قلوبنا مدبرین فنزلت قال الشیخ زکریا هذه عدة اخبار رواه
البیهقی والطبرانی وغیرهما بالفاظ مختلفة وما ذکره البیضاوی
من ان قاتل الکسر والشیخ عبد الله بن قمیة مخالف لما مر فی قوله تع
لیس لک من الامر شئ من انه عتبة بن ابی وقاص ثم قال ان الثابت
فی الاخبار ان الکاسر عتبة بن ابی وقاص والشاج ابن قمیة روی
لما صرخ صارخ قال بعض المسلمین لیت عبد الله بن ابی یأخذ لنا امانا
من ابی سفیان وقال اناس من المنافقین لو کان نبیا لما قتل
ارجعوا الی اخوانکم والی دینکم فقال انس بن النضر عم انس بن مالک یا قوم
ان کان قد قتل محمد فان رب محمد حی لا یموت وما تصنعون بالحیوة بعده
رسول الله علیه السلام فقاتلوا علی ما قاتل علیه ومو توا علی ما مات علیه ثم قال
اللهم انی اعتذر الیک مما یقول هؤلاء وابرؤ الیک مما جاء به هؤلاء ثم شد
بسیفه فقاتل حتی قتل وعن بعض المهاجرین انه مر بانصاری یتشحط
فی دمه قال یا فلان اشعرت ان محمدا علیه السلام قد قتل فقال ان کان
محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا علی دینکم ویجوز المؤمنین قتله علیه السلام مع قوله
تع والله یعصمک من الناس لما ان کل ایة لیس یسمعها کل احد ولا کل من
یسمعها یستحضرها فی کل مقام لا سیما فی مثل ذلک المقام الهائل وقد غفل
عمر رضی الله عنه عن هذه الایة الکریمة عند وفاته علیه السلام وقام فی الناس
فقال ان رجالا من المنافقین یزعمون ان رسول الله علیه السلام مات
وان رسول الله ما مات ولکنه ذهب الی ربه کما ذهب موسی بن عمران فغاب
عن قومه اربعین لیلة ثم رجع والله لیرجعن رسول الله ولاقطعن ایدی رجال

وارجلهم يزعمون ان رسول الله مات ولم يزل بكر ذلك الى ان قام
ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان
محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل الاية قال الراوي واله كان الناس
لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول الله عليه السلام وقد قال عمر رض
الآن سمعت ابا بكر رض يتلو هذه الاية الكريمة وقد عرفت ان رسول الله
مات ومن ينقلب على عقبيه بادباره عن الحرب بعد ما تمنوه من الحرب
والموت بالشهادة وقبل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين
والمعنى لما اكفا الناس وتفرقوا عند رسول الله نزلوا منزلة المرتدين لان
مقتضى الايمان الثبات على الحرب لا الفرار عنه فلن يضر الله بما فعل
من الانقلاب شيئا اى شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها
للسخط والعذاب والغرض منه تاكيد الوعيد ثم اتبع الوعيد بالوعد
فقال فسيجزي الله الشاكرين والمراد به انه وقعت الشبهة في قلوب
بعضهم بسبب تلك الهزيمة ولم يقع الشبهة في قلوب العلماء الاتقياء
من المؤمنين فهم شكروا الله تع على ثباتهم على الحرب والايمان
وشدة تمسكهم به وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وما كان لنفس ان تموت
قوله ان تموت في محل الرفع اسما لكان ولنفس خبر مقدم متعلق
بمحذوف وفي تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه الاول هي كلام
مستانف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم
ببيان ان موت كل نفس منوط بمشية الله تع لا يكاد ان يقع
بدون تعلقها به فلا يضر الثبات على الحرب انصرام النفس فلم فررتم

فلم ير ثم الثانى ان المنافقين لما رأوا ضعف المومنين من شدة الحرب
وسماع قتله عليه السلام ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فابطل الله تع
بقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وقضائه وقدره فكان
قتله مثل موته فى انه لا يحصل الا فى الوقت المقدر المعين فكما انه لو مات
فى داره لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا ان قتل وجب ان لا يدل
ذلك على فساد دينه الثالث ان يكون المراد تحريض المسلمين
على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يدفع القدر وان احدا لا يموت
قبل الاجل واذا جاء الاجل لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
بالاحجام عن القتال والاقدام عليه فلا فائدة فى الجبن والخوف
والرابع ان يكون المراد بيان تخليص رسول الله عليه السلام عن تلك المعركة
المخوفة فان تلك الواقعة ما هى سبب من اسباب الهلاك وقد حصل
ولكن لما كان الله تع حافظا وناصرا له وموته باذنه ماخرة شئ من ذلك
وفيه تنبيه على ان الصحابة قصروا فى الذب عنه الخامس ان المقصود من
منه الجواب عما قاله المنافقون فان الصحابة لما رجعوا وقد قتل منهم
من قتل قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله تع بقوله وما كان
لنفس ان تموت اه وفى الاية حجة على رد المعتزلة فى جعل المقتول
مقطوعا عليه اجله مينا بموته لان الله تع بين بقوله وما كان لنفس
ان تموت اه ان انقضاء موت المرء موقت بوقت لكن الذى قتل فاجله
بالقتل والذى مات فاجله بالموت فلا يكون المقتول مينا قبل اجله
كما قالت جمهور المعتزلة لا يقال يجب على مقتضى قولكم ان من ذبح شاة
غيره بغير امره ان لا يضمن قيمتها لانه عجل النفع لصاحبها اذ لو لم يقتلها

لكانت تموت وكان في ذلك تلف مال عمرو فكان الذبح احسانا من القاتل
في حق المالك وكذلك من قتل عمرو بغير حق يلزم ان لا يجب عليه القصاص
ولا يذم على ذلك الفعل لانه لو لم يقتل يموت وبسبب قتله ينال الثواب
لكون السيف محاء للذنوب لانا نقول انما يلزم ما ذكرتم لو لم يقتل
في ذلك الوقت لمات جزما وقطعا كما قال الجبائي وابو الهذيل
من رؤساء المعتزلة ولا نقول بذلك بل نقول ان الحيوة والموت سيان
ومحتملان في حقه لا يجزم بشيء منهما الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم
الاسباب اي وما كان لنفس (الموت حاصلا ص) من النفوس بسبب من الاسباب الا
بمشية الله تع على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه ويجوز سوق
الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال
الاختيارية التي لا تأتي للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه
تع او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه
للمبالغة في تحقيق المرام وفيه تحريض للمؤمنين على القتال وفي تفسير
الاذن اقوال الاول ان يكون الاذن الامر وهو قول ابي مسلم
والمعنى ان الله يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر
الثاني ان المراد بهذا الاذن هو المراد بقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون والمراد بهذا الامر انما هو التمكين والتخلية
لانه لا يقدر على الموت والحيوة احد الا الله تع فالمراد ان نفسا
لم تمت الا بايجاد الله تع الموت الثالث ان يكون الاذن بمعنى العلم
ومعناه ان نفسا لن تموت الا في الوقت الذي علم موتها فيه اي حين
تعلق علمه بموتها بتعلق الحادث واذا جاء ذلك الوقت فلزم الموت فيه

12

فيه كتابا منصوب بفعله دل عليه ما قبله فان قوله تع وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله قام مقام ان يقال في التقدير كتب الله كتابا وهو مصدر
مؤكد لمضمون ما قبله مؤجلا صفة له اى موقتا بوقت معلوم
لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة والمراد بالكتاب المؤجل الكتاب
المشتمل على الآجال ويقال انه اللوح المحفوظ كما ورد في الاخبار
انه تع قال للقلم اكتب فكتب ما هو كائن الى يوم القيمة او المراد
بالكتاب المؤجل كتاب كل احد كتب في رحم كما ورد في الاخبار الصحيحة
ان جميع حوادث المرء من الرزق والاجل والسعادة والشقاوة لابد
ان يكون مكتوبة في جبهة الجنين في الرحم واذا كان الامر كذلك ثبت
ان الكل بقضاء الله تع وقدره